جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
٨ جمادى الأولى ١٤٤١ هـ
٣ ينـايـر ٢٠٢٠م

(١)

الدخول في معية الله (عز وجل)

" أسبابه ، وآثاره "

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

وبعد :

فإنَّ معية الله (عز وجلَّ) منها معية مراقبة ، ومنها معية تأييد ، أما الأولى فتعني إحاطته سبحانه وتعالى بجميع خلقه ، حيث يقول سبحانه : {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}، ويقول سبحانه : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، ويقول جل شأنه: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}.

وأما الثانية وهي معية التأييد ، والتوفيق ، والحفظ ، والعون ، والرعاية فقد اختص الله (عز وجل) بها رسله وأنبياءه وأولياءه والصالحين من عباده ، ولقد أشار القرآن الكريم في مواطن عدة لهذه المعية العظيمة التي نالها صفوة الله من خلقه ، ومن ذلك خطاب الله (عز وجل) لنبيين كريمين من أنبيائه – سيدنا موسى ، وسيدنا

هارون (عليهما السلام)- حيث يقول سبحانه : {اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} ، وهي المعية التي تحدث عنها موسى (عليه السلام) حين ظن قومه أن فرعون وجنوده قد أدركوهم ، وأنه لا نجاة لهم من سطوته ، فالبحر أمامهم ، وفرعون وجنوده خلفهم ، فصاحوا : {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} ، فأجابهم سيدنا موسى (عليه السلام) بيقين الواثق في معية ربه وتأييده ونصره : {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} .

وهي معية الله (عز وجل) لنبيه (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه الصديق (رضي الله عنه) أثناء الهجرة النبوية ، حيث يقول سيدنا أبو بكر (رضي الله عنه) : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي الغَارِ ، فَنَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟) ، وفي هذا يقول الحق سبحانه : {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

فما أعظم أن يكون العبد في معية الله (عز وجل) ، ومن كان في معية الله فلا عليه بمن عليه ومن معه . ولكي تتحقق للعبد معية الله سبحانه وتعالى فعليه الدخول من الأبواب الموصلة إليها ، ولا بد له أن يحقق الأسباب التي تؤهله لذلك ، ومن أهم هذه الأبواب : تحقيق الإيمان بالله (عز وجل) : حيث يقول سبحانه : {وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} ، ومقتضى الإيمان كما ذكر رسول الله (صلّى الله عليه

وسلّم) : (أن تُؤمِنَ باللهِ ، وملائكتِه ، وكُتبِه ، ورُسلِه ، واليومِ الآخرِ ، وتُؤمِنَ بالقدَرِ خَيرِه وشَرِّه) ، وحقيقة الإيمان أن يظهر أثر هذا التصديق في سلوك الإنسان ومعاملته مع الناس ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ) .

وعندما سُئل الحسن البصري (رحمه الله) : أمؤمن أنت؟ قال : " الإيمان إيمانان ؛ فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والجنة ، والبعث ، والحساب ، فأنا به مؤمن ، وإن كنت تسألني عن قول الله (عز وجل) : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} ، فو الله ما أدري أنا منهم ، أم لا ، قال البيهقي معلقًا : فلم يتوقف الحسن في أصل إيمانه في الحال ؛ وإنما توقف في كماله الذي وعد الله (عز وجل) أهله بالجنة ، في قوله تعالى : {لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} .

ومنها : أن يحقق العبد التقوى والإحسان ، حيث يقول الحق سبحانه : {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} ، ويقول سبحانه : {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} ، ويقول جل شأنه: {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} ، والتقوى : هي فعل كل أمر يُرضي الله (عز وجل) ، والبعد عن كل ما يسخطه سبحانه ، فهي جماع كل خير ، وقد بين القرآن الكريم معنى التقوى في مواطن كثيرة ، منها قوله تعالى : {لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا

عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}.

ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا) ، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ) ، وقال سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لأُبي بن كعب (رضي الله عنه) : ما معنى التقوى التي أكثر الله من ذكرها في كتابه؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أما سلكت طريقا ذا شوك ؟ قال : بلى ، قال : فماذا كنت تفعل؟ قال : كنت أشمر ثيابي ، وأحترز ، قال : هذه التقوى .

وأما الإحسان ، فقد بين النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) حقيقته في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) ، وهنا يحقق العبد تمام مراقبة الله (عز وجل) ، ويوقن تمام اليقين أن ربه لا يغفل عنه في سره وجهره ، في حركاته وسكناته ، قال تعالى : {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنّ اللَّهَ يَرَى}.

كذلك من أسباب الدخول في معية الله (عز وجل) : **الصبر** ، قال تعالى : {وَاصْبِرُوا إِنّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}، وقال سبحانه : {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} ، وقال تعالى : {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا) ، والصبر : حبس النفس عن الجزع ، واللسان عن الشكوى ، والجوارح عن الهلع ، ويتحقق بمجاهدة النفس ، وهو خير عطاء ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) :

(...وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ) .

ومن عوامل الدخول في الحظوة والمعية: **يقظة الضمير** ، فصاحب الضمير الحي يدرك أن الله تعالى معه حيث كان في السفر ، أو في الحضر ، في الخلوة ، أو في الجلوة ، لا تخفى عليه خافية ، ولا يغيب عنه سر ولا علانية ، وهذا ما كان من نبي الله يوسف (عليه السلام) حين غلقت الأبواب ، وهُيِّئَتْ له أسباب المعصية ، فاستعصم بربه الذي يدرك معيته إياه في كل لحظة ، فانطلق لسانه مرددًا قوله تعالى : {إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}، وهذا ما ذكرته امرأة العزيز كما بين ذلك القرآن الكريم على لسانها في قوله تعالى : {وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمْ} ، ففضل استشعار المعية عظيم ، حين يتملك العبد خوف ربه (عز وجل) في الدنيا ، فيأمن من عذابه سبحانه يوم القيامة ، وفي الحديث القدسي ، يقول رب العزة (جل وعلا) : (وَعِزَّتِي ، لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ ؛ إِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا ، أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا ، أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

كما يحظى الإنسان بالدخول في معية الله (عز وجل) **بذكر الله تعالى** : حيث يقول سبحانه : {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ...) .

أقولُ قولِي هذَا ، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه ، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارِكْ عليهِ ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين .

إخوة الإسلام :

إنَّ للمعية آثارًا عظيمة يجني العبد ثمرتها في دنياه وآخرته ، منها : أن من دخل في معية الله (عز وجل) **وقاه الله كل شر** ، **وأذهب عنه كل ضر** ، قال تعالى : { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} ، وقال سبحانه : {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} ؛ أي : كافيه ، قال (جل وعلا) : {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}، ومَن توكل على الله ووثق بكفايته حقيقةً ، فلن يتمكّن منه عدوٌّ ، ولن يخيب له مطلوبٌ ، ولن يفوته مرغوب ، وعندما نقف عند قول الله تعالى لسيدنا موسى (عليه السلام) : {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}، وقوله سبحانه : {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي}، وقول جل شأنه لنبيه (صلى الله عليه وسلم) : {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} ، وقوله تعالى : {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ} ندرك عظمة المعية ، وفضلها ، وجميل آثارها .

ولا شك أن الدخول الحقيقي في معية الله تعالى والانضواء تحتها أهم أبواب **السكينة** ، **والطمأنينة** ، **والصحة النفسية** ، والبعد عن كل جوانب التوتر ، والقلق ، والاضطراب ، والاكتئاب ؛ إذ كيف يقلق من كان يأخذ بصحيح الأسباب ، ويدرك أن الأمر كله بيد من أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون؟ حيث يقول الحق سبحانه : {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، ويقول سبحانه : {ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }.

إن استشعار العباد معية الله (عز وجل)، واستحضارهم عظمته سبحانه ، يحقق لهم وللمجتمع **أعلى درجات السلام النفسي** ، **والتعايش السلمي** ، **والأمن المجتمعي**؛

لأن العباد إذا عَلِموا عِلْم اليقين أنهم لا يغيبون عن نظر الله (عز وجل) يستقيم سلوكهم ، وتحسن أخلاقهم ، فيلتزمون أمره سبحانه ، ويجتنبون نهيه جل وعلا، ويقفون عند حده ، ويأخذون بالأسباب ليصلحوا دنياهم بدينهم ، فيعيش الفرد في سلام مع نفسه ، وسلام مع أسرته ، وسلام مع عائلته ، وسلام مع جيرانه ، وسلام مع زملائه ، وسلام مع أصدقائه ، وسلام مع المجتمع ، وسلام مع الناس أجمعين ، وتلك رسالة الإسلام التي جاءت رحمة للعالمين .

اللهم أدخلنا في معية نصرك وتأييدك ، واشملنا بواسع فضلك ، وأسبغ علينا نعمك ، وارزقنا الإخلاص في كل شئوننا ، واحفظ مصرنا ، وسائر بلاد العالمين